صوفية النسق في رواية "السيمورغ" لمحمد ديب

Sufi Theme in the Novel The Cymurg by Mohamed Dib

أ/ لعلاونة محمد الأمين•.

د.علي حمدوش

مخبر تحليل الخطاب

جامعة تيزي وزو–الجزائر

تاريخ الإرسال:2018/06/14 تاريخ القبول:2018/11/15 تاريخ النشر:2019/06/19

ملخص باللغة العربية: تعد الأنساق في رواية "السيمورغ" نسيجا مختلطا يتداخل بعضه ليولد نسقا متمايزا يتجلى في تلك الرحلة التي سرد محمد ديب تفاصيلها مستندا إلى خلفيات وتصورات أسمى من أن نعقلها بالذهن؛ ذلك أن "**السيمورغ** " هو تجل لحقيقة إلهية ترتبط بعالم "**الآيديا**" إنه عالم متعال لا يدرك " **بالمعرفة الذهنية**" قدر إدراكه بالمعرفة الروحية، فالسارد لم يخاطب العالم المحسوس بل تسامى ليلج بوابة "**عالم المثل**" في سفر أراده أن يكون"**برزخيا**" يسعى للوصول إلى الحقيقة التي تجلت في طائر خرافي يمكن أن يمثل نسقا محايدا يكون كنتيجة لصراع بين ما هو موجود (مجموع المتصورات الحسية والذهنية) ونسق يسمو على الوجود (مجوع المتصورات المجردة)؛ إنه صورة استعارية للحقيقة التي تتوق كل نفس للوصول إليها مستعينة بمجموعة من الخبرات، وهذا ما حاول "**ديب**" أن يختبره في عنوانه " **السيمورغ**"، لتكون " **السياحة الصوفية**" بديلا عن التأمل الديكارتي، ويكون النسق الروحي هو النسق المهيمن الذي يستثير القارئ ويصنع في ذهنيته مزيجا تصوريا يكون أساسه الانطلاق من فكرة " **كُن** "المتجلية في العلو الذي سعى "**ديب**" على لسان مجمع الطير للوصول إليه، "وفكرة "**فيكون**" المتلاشية في الزمن والوجود، إنها صورة صنعها الدازاين الذي يقابل طائر السيمورغ – الكينونة – وألقت بظلالها على الموجود في صورة دسزاين– أثر– عبر عنه ديب بمجموع الطيور الباحثة عن هم الحقيقة .

•باحث دكتوراه، مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، mamilalaouna@gmail.com

- **الكلمات المفاتيح: السيمورغ؛ التصوف؛ ما بعد الحداثة؛ الوجود؛ الأثر...الخ**

Abstract:The patterns within the novel " **cymorg**" , represent a diversity of overlapping styles and fromats , resulting in a unique pattern . It came into evidence through the journey, whose details were narated and fairly described by **Mohamed Dib** ; basing on some fine backgrounds and perceptions that transcend our thoughts. That is because the cymorg is the manifestation of a " divine truth, which is connected to the world of Ideation". It is a transcendental world that can not be perceived by one's mental knowledge as it is by the spiritual one , Since the narrator did not address the tangible world " tabscended to pass through the gate of self" . " In his journey" he wanted it to be a "parallel" that reaches for the truth. A truth that manifested itself in the form of a mythical bird , able to represent a neutral pattern. This later is considered to be the result of (conflict between what actually exists) a compilation of sensory and mental perceptions and (a pattern transcending existence) , a group of tangible perceptions, (it is a metaphorical representation the truth all souls search, and which they aim to reach using a set of previous experiences . This is what Dib tried to experiment in his " Cymorg" ; to be a form of " mysticism sightseeing" instead of the Cartesian meditation . Thus the spiritual pattern is intended to be the dominant one , a fact that draws in the readers mind an imaginary mixture that is based on starting from the idea : " of being the mainfestation of what Dib sought to reach on the tongue of the birds. And the Idea : " of fading in time and existence". It is a picture made by the Daszine that opposes the "Cymorg bird" the existence and which projected its shades on what the image of Daszine carries within_a Trace_ That Dib represented by bird flocks seeking the burdens of truth.

Keywords :cymorg ,Sufism,post modernism, the existence, Trace …etc

تمهيد: تعتبر دراسة رواية "**السيمورغ**" لمحمد ديب، دراسة لعمل أدبي زاوج فيه السارد بين تجربته الحياتية التي تشبعت بالثقافة الغربية خلال فترة زمانية طويلة، لتصل في النهاية إلى البحث عن ذاتها وكنه وجودها. فيختار بذلك السارد –ديب–لعمله عنوانا مستَمدا من رحلة خرافية –برزخية –وُجدت في الثقافة الإسلامية الصوفية الشرقية– رسالة منطق الطير لفريد الدين العطار–لما تحمله من خصوصية روحية تعطي للمتلقي مساحة روحية تخلصه من زخم الحياة الغربية وماديتها، ومن هنا جاء مقالنا ليجيب عن مجموع إشكالات لعل أبرزها:

-هل كان "**محمد ديب**" في روايته السيمورغ يخاطب العالم المحسوس أم يسعى لتجاوزه في رحلة يسعى من خلالها عن البحث عن الحقيقة المطلقة؟

-ما هي اللغة التي وظفها ديب في نصه "السيمورغ" وما الداعي الذي دفعه لذلك؟ كيف ربط ديب بين بين نسقين متعارضين، نسق التصوف ونسق ما بعد الحداثة وما هي الخلفيات التي دفعته إلى ذلك؟

1-برزخية الروح في رواية السيمورغ:

يحاول " محمد ديب " في روايته "**السيمورغ** "أن يربط شخصيات روايته وعوالمها بعالم مخيالي، فالشخصيات التي تمثلت في الرواية في هيئة طيور تبحث عن الحقيقة المتجلية في طائر السيمورغ الخرافي، وليست الطيور سوى إشارة إلى المريد الصوفي الباحث عن الحقيقة بين مزالق طريق الحق التي رسمها السارد. مسلك صوفي له نسقه الخاص به، ذلك أنه " **من خصائص طريق أهل الله تعالى أن العبد إذا لم يعط الطريق كُلَه لا تعطه الطريق بعضها** "[1]، وهذا ما عبر عنه محمد ديب بقوله على لسان مجمع الطير " **نتجلد بالصبر في انتظار اللحظة التي يتم فيها استقبالنا من قبل سيادة السيمورغ، وليكن هذا قمة سعادتها! رسائل اعتمادها؟ إنها المساحات الدرامية، اللامتناهية التي تقع بين المكان الذي جئنا منه وصولا إلى المكان الذي يضمنا الآن**"[2]، إنه تمثل لنسق روحي أكثر منه ذهني، نسق لروح تعيش في عوالم تتسم حيثياتها بالمشاهدة والمكابدة أكثر من اتسامها باكتساب الخبرات والمعارف، إنه رسم لصورة" **حافلة بالحركة المتجددة، والمشاهد المتتابعة، يرسم من خلالها نموذجا إنسانيا كثيرا في بني البشر**"[3]، ذلك أن التمثل الذي رسمه محمد ديب لشخصياته؛ هو تمثل يسعى للسمو الروحي، تمثل يبحث عن نسق متعالٍ يُستقى بالظن أكثر منه باليقين، إنه متخيل سردي أراده السارد أن يكون مخالفا لحواسنا .يقول ديب متسائلا

عن ماهية السيمورغ: "**ما هذا الذي لا يوجد ؟ ثم يباشر وجوده والعيش بمجرد أن نجمع جملة من الكلمات ونرصفها بشكل معين أو نفرقها بفوضى. الأمر سيان أكان ذلك مع مجموعة صغيرة من الكلمات أو مع كثرة منها .ثم يمضي ويهجرك، يرسم طريقه في الحياة، يثبت رشده من خلال سلوكياته، استقلاليته ...هذا هو النوع الذي يجب التفكير في الاعتماد عليه، هذا الذي يدفعنا إلى الاعتراف بتميز وقدسية الذات**"[4]، تلك الذات التي تقترب في كينونتها من الذات العارفة، التي لا تتشكل إلا في نسق محدد ومتعالي في الوقت نفسه، ذات نجهدها في عالم مطلقٍ ببرزخيته، لا في عالم يضلّنا بخداعه، يقول ديب "**جلبة عظيمة كانت هناك .على العكس من الجلبة التي تأتي من الأرض، تلك التي تجذبكم نحو الأسفل، التي تفتح أمامكم أبواب الخوف، ليست تلك هي الجلبة التي يحدثون، جلبتهم هنا تغمر السماء، تجذبكم نحو الأعلى**"[5]،إنه تصور يحكمه " **التفكير الشهودي** "المرتبط بالخيال **لا** "**التفكير الذهني**" المرتبط بالعلة والمعلول، يقول هيدغر: "**الخيال السامي هو إذن الأساس المكون لإمكان المعرفة الأنطولوجية وللميتافيزيقا في معناها العام ...إن الخيال ملكة أو قدرة على الحدس الخالص**"[6], وهذا ما برهن عليه ديب في رحلته العجائبية ليصل في نهايتها إلى معرفة أن "السيمورغ" هو الروح الباطنية لكل واحد منا، إنّها صورتنا كما لم نعهدها من قبل تلك الروح التي تمثل نسقا مجهولا " **يعبر أحلامك كي يصل إليك، أنت الذي تفتح فجأة عينيك واسعتين ولا تستطيع أن تصدق بأنه قادم نحوك بابتسامته** "[7]ليؤكد ديب على حلولية الروح وبرزخيتها في قوله "**كان هو. أنا هو. أنا السيمورغ**"[8] إنه تأكيد مطلق.

2-الأصنام/التماثيل الذهنية وتماهي الروح:

إن قراءة رواية "**السيمورغ**" لـ "**محمد ديب**" للوهلة الأولى تعود بنا إلى قول "**ريني ديكارت (René Descartes)** في استهلال كتابه " **تأملات ميتافيزيقية**"- وهو يصف القراء المفترضين لكتابه" **وهم قادرون على أن يحرروا ذهنهم من مخالطة الحواس وأن يجردوه تجريدا كاملا من كل الأحكام السابقة**" [9]، ذلك أن ديب في رحلته البرزخية وقد تحرر من قيود الذهن وصور اعالمه المادي المعكوسة ليتماهى بلغة روحانية انسيابية، كانت هي الحامل لمشعل المدلولات التي تختفي خلف العقل وتتسامى عليه يقول "**ديب**":" **كان الكل يستجيب للنداء بشكل مستحيل، كرجل واحد. شيء ما يدفع بهم إلى العجلة يجبرهم. ولكن، يدفعهم إلى أين؟ إلى حيث لا توجد غير اللا إحتمالات، غير المجهول بحروف كبيرة**"[10]، إن عدم الاحتمال التي يُحدِّثُ بها ديب هي عدمية الذهن مقابل برزخية الروح وقد مكّنت مجمع الطير في نص "**السيمورغ**" من بلوغ الحقيقة كما مكنته من بلوغ ذواته الباطنية متحررا من سلطة العقل، ليبصر بعيون قلبه، لذلك يقول السارد على لسان الطيور المحلقة نحو الأعلى: "**في بعض الأحيان لا يتعرفون على بعضهم البعض حين الوصول. أحيانا لا نعلم. التوجه بواسطة عيون القلب، ويبدو أنهم يملكون هذه العيون**[11].

والعيون المقصودة في المقطع السابق هي تلك العيون التي تمكن الصوفي في نسق آخر من أن يصل إلى المعرفة الكلية، الروحية أو القلبية التي نفخها فيه من لدن الخالق ليصل إلى مرتبة "**الشهود والكشف**" فيعزل ما اكتشفه باليقين العلمي بالكشف الحقيقي[12]؛ أي إلى مرتبة اللا-احتمالات التي وصل إليها ديب في رحلته التي يمكن أن نسمها " **بالرحلة الصوفية** "نظرا لمعجمها الصوفي من جهة، ولرمزية ألفاظها من جهة أخرى، يقول مصطفى محمود: "**والإنسان صورة الكل في الكل، بسبب النفخة**

التي نفخها الله من روحه في صورته الطينية، وروح الله جامعة لجميع الحقائق وكلية في صفتها"[13]، وهذا ما حاول ديب استجلاءه في رحلته المتجهة من العالم السفلي – عالم الذهن – إلى العالم العلوي– عالم الميتافيزيقا أو البرزخ–ليغرف من معرفة متماهية تجلت في "السيمورغ "وهذا ما تؤكده عبارات أطنب ديب على ذكرها، من قبيل " **كان يمضي ..هناك في العلو**"، و"**كان يمضي، يمضي بقدر من الارتفاع هذه المرة**". "**جلبة عظيمة كانت هناك. على العكس من الجلبة التي تأتي من الأرض. جلبتهم هنا تغمر السماء** "، إنها سماء خص بها ديب روحا تتسامى عن البشر وتتعالى عن ذهنياتهم الراكنة بالأرض؛ كعالم مادي لا يخلو من شوائب الحياة، وتسمو إلى العلو بنسق روحاني برزخي يعد ديب من الذين أدركوه، مقتربا في ذلك من قول زرادشت: "**ترنون بأعينكم إلى الأعلى، وأنتم تطلبون العلى، وأنظر إلى الأسفل لأني في الأعالي**"[14]، الملاحظ هنا أن الأعالي هي التي تدرك بعيون القلب لا عيون العقل، عتبة تدرك بالبصيرة لا بالبصر، وهذا ما يؤكد لنا طغيان النسق الروحي في رواية "**السيمورغ**" على النسق الذهني لتتماهى الروح كذات تمتلك من المعرفة القلبية ما يؤهلها لأن تتسامى على العقل، يقول ديب حين أدرك نفسه وهي عارجة نحو المطلق: "**في كل مادة وفوق كل مادة يهيمن شيء يستعصي عن الوصف، البقاء كذلك رغما عنا**"[15] .

ذلك الشيء هو امتناع عن المادي وتشبث بالروحي الذي أوصل ديب في النهاية إلى دهاليز معرفية تظهر أن لدى كل واحد منا "سيمورغ" خاص به وحده دون غيره. يقول ديب متسائلا: " **ثم ماذا إذا ما استفدنا من سرعتنا ودفعنا بتشردنا إلى أبعد مداه؟ ما أبعد النقطة التي سيقودنا إليها. بإمكاننا المراهنة حتى نصل إلى قلب هذا الضباب الميتافيزيقي الذي نضيع فيه قبل أن تطأه أقدامنا.**"[16]، ويدل الضباب في

هذا المقطع على الفوضى اللا متناهية التي توصل في نهاية المطاف إلى معرفة حقيقية مطلقة، معرفة قلبية تقترب من المعرفة أو الكشف الصوفي.

3-السيمورغ بين ذهنية العبارة وروحية الإشارة: إن الناظر للوهلة الأولى إلى نص "**السيمورغ**" سيتساءل عن ماهية لفظة "**سيمورغ**" بالدرجة الأولى؛ ليكتشف فيما بعد أن الاسم من أصل فارسي خالص مرتبط بشجرة الحياة[17]؛ أي أنه طائر خرافي يوصف بأنه ملك الطير[18]، ما يجعل القارئ يدخل الرواية ويكتشف أن ديب استعمل لغة إشارية تقترب من لغة فريد الدين العطار في حديثه عن منطق الطير، بيد أن المفارقة تكمن في أن فريد الدين العطار تمثل "**السيمورغ**" كملك للطيور للدلالة على الله، أما ديب فقد تمثله في ذاته المستلبة ذاته التي عاشت المنفى في بلاد غريبة مما حذا بالسارد إلى أن يمتطي موجة رحلة روحانية ترمي به في الشرق. إنها رحلة ثرية لا تخلو من خطابات تثويرية، استعمل فيها جملة من الخطابات، بدءا من الخطاب المنتظم إلى الخطاب المتشظي، يقول ديب: "**ما هذا الذي لا يوجد؟ ثم يباشر وجوده والعيش بمجرد أن نجمع جملة من الكلمات، ونرصفها بشكل معين أو نفرقها بفوضى. الأمر سيان**"[19] وهذا ما يقترب بشكل كبير مع المفهوم "**الهايدغري**" للغة والكلام يقول مارتن هيدغر: "**إن الكلام ينبغي أيضا ان تكون له من حيث ماهيته طريقة كينونة متصلة بالعالم عل نحو مخصوص. إن مفهومية الكينونة-في-العالم-وفق وجدان ما إنما تفصح عن نفسها من حيث هي كلام**[20]" وهذا ما سعديبلإيصاله إلى القارئ عن طريق "**إخرج الموجود إلى الوجود** " بل والعيش على شكل مجموع كلمات تشكل عبارة مرصوفة أو مجموع كلمات مشتتة في الوجود تشكل ذاتها بذاتها وهذا ما نمثله بالشكل التالي:

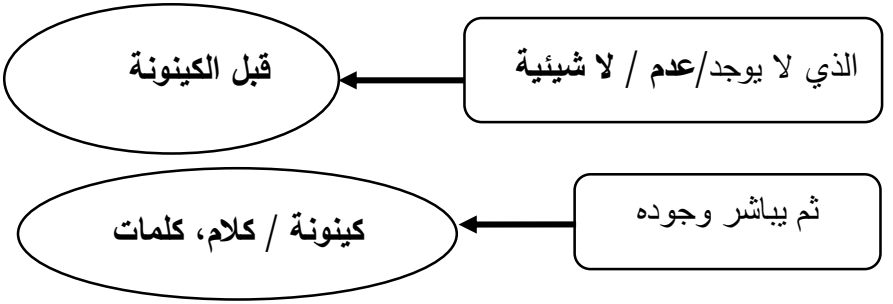

يشير ديب في حديثه عن اللغة إلى اللغة الرمزية، تلك اللغة غير المرئية التي تبرز في قوله السالف الذكر وبالأخص في عبارته الواردة على مرتين متتاليتين تساؤله القائل: "**ما هذا الذي لا يوجد؟ ثم يباشر وجوده؟**"، والذي يقترب –السؤال– من مقترح هيدغر أثناء بحثه عن " **اللا–شيء**" حيث رأى أنه "**إذا ما استيقظ فينا اعتزال الأشياء والانفتاح على السر–الذي يمكن اعتباره هو أيضا اللا–شيء – فعندئذ سيسمح لنا بالوصول إلى الطريق الذي من الممكن أن يهدينا إلى أساس جديد وقاعدة جديدة** "[21]، ما يدعونا إلى القول بأن هناك تقاربا بين فكر محمد ديب من حيث بحثه عن **اللا– موجود** وفكر هيدغر في بحثه عن **اللا–شيء**، بيد أن ديب يتخطى هيدغر حين إدراكه لماهية اللا–موجود الذي يباشر وجوده بواسطة اللغة أو الكلمات تلك اللغة التي تشبه لغة " **الشهود**" عند " **محي الدين ابن عربي** "ونلتمس ذلك في قوله: **لا ذات تمتلك الوجود الذاتي وبالتالي لا شيء ذاتيا في الكون؛ فالكون عبارة عن حقائق مفردة موجودة بإيجاد دائم مستمر، وهي لا توجد في العالم المحسوس على شكلها الصرف أبدا، بل توجد مضافةً إلى بعضها البعض ...ففي الكون الظاهر لا نرى إنسانا صرفا لا يحوى غير حقيقة الإنسانية؛ بل يوجد متصفا بالكثير من الأوصاف الزائدة على إنسانيته** " [22]، وهذا ما يؤكده محمد ديب حين يلصق الموصوف – الإنسان – بصفاته بلغة تغلب عليها صفة الروحية أكثر من صفة الذهنية، يقول ديب في وصف وجود

الذات: "**من جهة أخرى فإن الذكاء والاعتراف لا يأتيانه إلا من الخارج، من الجوار .هذا الحس الذي تتباهى به الثابتة منح لها علاوة على ذلك رغما عنها، ويستعصي على التسمية لأنه من غير الممكن تسمية ما لا يقال وما لا ينبع من تجربتنا الذاتية وليس له علاقة بأي علم كان** ..[23]، إنه العدم في صورته الإنسانية ووجود اللغة (تسمية ما لا يقال) في صورته الهايدغرية.

4-السماع والصورة من المطلق إلى المجرد: يواصل "**محمد ديب**" في روايته "**السيمورغ**" المزج بين ما هو ذهني وما هو روحي منطلقا هذه المرة من اللغة أو مجموع الرموز – كنسق ذهني – ليصل إلى الموسيقى –نسق روحي–، التي تأخذنا إلى الما وراء، ذلك الما وراء الذي لا يتأتى إلا عندما نتعلم أبجديات المطلق المتجسد في اللغة ومجموع الرموز الموسيقية التي تتحول في ما بعد إلى لحن يسافر بنا إلى أبعد نقطة، يقول محمد ديب: " **لنقل الأشياء بصيغة أخرى، لنقل أنك تجهل تماما معنى التدوين الموسيقي، ولا تعلم بوجوده أصلا، ولم ترى توليفة موسيقية أبدا ثم يحدث أن تصادف واحدة ...الانطباع الأولي الذي يتكون لديك هو أنها عمل فني منقوش، هو ليس تصويريا ولا تجريديا. لن تتصور في كافة الأحوال هذا وما تحمله من معانيإنها بحمولتها وتلك هي حقيقة وجودها الأولي**"[24]؛ وهذا ما يفسر أن العملية التواصلية أو العملية الذهنية مشوشة بين التوليفة الموسيقية المدونة، والمتلقي الذي يبقى جاهلا لطبيعة الخطاب – في شكله الداخلي–الموجه له، بيد أنه يتواصل معه بشكل أو بآخر، يقول كلود ليفي شتراوس (**claud levis straus**) في تعريف اللغة: "**إنها الخط الفاصل بين الطبيعة والثقافة، فذلك لأن اللغة تنفرد بطبيعة إنسانية، وثقافية، واجتماعية**"[25]. يكون تحول اللغة عند ديب من شكلها السيميولوجي، إلى شكل يسبح في الوجود بطريقة دينامية وهذا حين يتحول مجموع الرموز إلى " **أصوات، تتحول إلى**

أنفاس، أما سمعك فيبقى منتبها للنغم الذي يمنح نفسه للإنصات، يلتقط تلك الأصوات متتبعا تسلسلها اللحني لكن وفي نفس اللحظة، يحدث شيء آخر. شيء ما بذاته، يقف، يرى في الما–وراء، يتعدى الموسيقى، شيء ينبع في مجمله من الفكر المنطقي ومن الإحساس والتأثر الأولي أي الفكر السحري"[26] ويظل ذلك الفكر متعلقا بالنسق الذهني وبمجموع الحمولات المعرفية التي يحملها من إدراك لجمالية اللحن وتذوق للنوتات الموسيقية ليدخل بنا إلى "عالم المطلق" حسب ديب، وهذا ما يقترب ولو بشكل نسبي من السماع الصوفي الذي يضم في طياته " **أشكالا لغوية مختلفة في القصيدة والمديح والانتهال والأنشودة، عن طريق استعمال الخصوصية الإيقاعية والموسيقية والصوفية لكل شكل من هذه الأشكال، والتي حاول عبرها الممارسون الصوفيون إكساب اللغة معان ودلالات جديدة، اعتبروا أنها تصبح من خلال هذه الممارسات أصدق وأقدر على التعبير عن اختلاجات الحياة الروحية ومستوياتها الوجدانية –العرفانية، وتكتسب بهذا الذات معنى جديدا لحياتها** "[27]؛ ويلتحم المعنى بالآخر لتتولد معانٍ تتشكل بعضها بعض معطية شكلا جديدا يحمل دفقة ذهنية تتحول فيما بعد إلى دفقة روحية تتسامى على الذهن وتتعداه، يقول ديب : " **وهذا ينجر على كل شيء يتعرض للتشكل بما في ذلك القصيدة** "[28]لينسف فيما بعد ديب هذا التمثل الذهني في قوله "**الاستثناء الوحيد ربما هو إيراد آخر حقيقة : في كل مادة وفوق كل مادة يهيمن شيء يستعصي على الوصف، شيء يصر على البقاء مستعصيا عن الوصف، البقاء كذلك رغما عنا** "[29]إنه البحث عن الماهية، والتجرد الذي لا يمكن القبض عليه مما جعل ديب يعيش ألما وجوديا يستعصي على الوصف .

يسير ديب على الدرب نفسه، درب الرمزية واللغة البرزخية لينتقل بنا من ميدان الموسيقى إلى ميدان المشاهدة التي تجلت في شكل صور–قد تشكل خطابا–أو تمثلات

بصرية يستعصي حتى على الذهن إدراكها، يقول السارد: "**هذه هي الحالة التي رآهم الآخرون عليها، الحالة التي تستعصي على اللغة التي لن تجدها أنت أيضا كي تصف هذه الحالة. مثلي تماما، بنفس الشكل: مؤلم**"[30]، إنه الألم في عندما يلبس رداء الغموض والتخفي مما يُعجز الذات بملكاتها على أن تدركه، يقول ميشال فوكو (**Michel Foucault**): "**إن كل خطاب ظاهر، ينطلق سرا وخفية من شيء ما تم قوله، وهذا الما سبق قوله، ليس مجرد جملة تم التلفظ بها، أو مجرد نص تمت كتابته؛ بل هو شيء (لم يقل أبدا)، إنه خطاب بلا نص، وصوت هامس همس النسمة**"[31]، ليصل ديب في الرواية إلى أن الانسان مهما تمكن من اكتساب المعرفة ومهما سما بروحه أو بعقله لإدراكها فإنه يبقى مجرد بهلوان مخدوع داخل لعبة كبرى تسمى الوجود، وجود يتعالى ليبقى الإنسان يعيش حالة من الضديات التي تقابل إحداها الأخرى؛ فالمعرفة تقابل الوهم؛ والسعادة تقابل الحزن؛ والذات تقابل المجهول؛ والوعي الإنساني يقابل الفطرة الحيوانية (مثال القرد في الرواية)؛والذكاء يقابل السذاجة في صورة كبرى لا تعكس إلا ما في باطننا من حقائق متخفية.

5-السيمورغ من الانغلاق إلى الانفتاح/ الانعكاس: يُعد الحديث عن رواية "**السيمورغ** "حديثا عن نص يحكي عن رحلة عجائبية منغلقة لمجموع طيور تبحث عن ذاتها، بيد أن النص في حقيقته وإن بدا منغلقا على ذاته، ومقتصرا على مجموع أسئلة وجودية أرقت "ديب" بعد أن تشبعت روحه بالمادية الغربية في شكلها الما بعد حداثي، وإحساسه بفراغ روحي حاول ملأه بالعودة إلى التراث الصوفي الإسلامي في صورة انعكس فيها الشكل – المادة بالروح/ المرآة-. يقول السارد معبرا عن ذاته وهي تتحرر من قيود **المادة /الانغلاق** وتنفتح على عوالم **الروح / الانفتاح**: "**لكن في هذا المكان بدأت بعض الستائر تقف في وجوهنا. رغم شفافيتها فإن كثرتها وتتابعها يبقيان على مسحة**

ضبابية معلقة في الهواء. بقدر ما نتقدم نحو العمق فإن الحاجب –أو أيا كان– راح يحرك المسحة الضبابية بدعوى إزاحته لقطع من الستر الشفاف .بقدر ما كنا نتغلغل في الأعماق بقدر ما كنا نفقد شكلنا وهيئتنا .الواقع أننا نصبح لا شيء مثل الهواء الذي نتنفس .بما في ذلك دليلنا"[32]، إنها مقطوعة سردية جمع فيها "**ديب**" بين التصوف* الذي وُجد عند المفكر والروائي اليوناني "**نيكوسكزنتزاكيس Nikos Kazantzaki**" في كتابه "**تصوف منقذو الآلهة**" حيث يقول: "**فكل من يرتفع فوق مستوى هامته، يستطيع أن ينعتق من عقله الصغير المليء بالتساؤلات، وأن يقف شامخا لا وجل أمام السكون العميق، متألما ولاهيا، صاعدا بلا توقف من قمة إلى قمة، مدركا أن الارتفاع لا نهاية له**"[33]؛ ذلك أن كليهما أدرك أن العالم المادي هو عالم ظلال أو وهم، وأن المادية الغربية في عقلانيتها المنغلقة، وبحثها عن تساؤلات آنية –لا نهائية– تتركك تتحرك من قاعة إلى قاعة أخرى حسب ديب، أو من براديغم إلى براديغم آخر لتزداد أسئلتك ويزداد بحثك عن الإجابة التي وجدها "محمد ديب" في الانفتاح على عالم الروح –في شكله الصوفي–، رغم الآلام الوجودية التي أرقته وحاول التخلص منها أثناء رحلته البرزخية نحو عالم السيمورغ ،الذي يجسد العمق –الذات– والانفتاح –المرآة– يقول ديب واصفا حالته وحالة الطيور المرافقة له:" **أشباح ستخاف صورتها إذا ما حدث وأن رأتها في المرآة. هذا نحن: صورة كاريكاتورية بائسة، صورة مؤلمة بعض الشيء، بعيونها المليئة بالرمس ونحن نتخاوص بألم تحت ضوء الشمس، ببؤبؤ محروق ونحن نعبر المساحات الدرامية. غاب عنا للأبد، رحل ذلك النظر الثاقب الذي يمنحنا القدرة على رؤية الديدان المتخفية في التراب، هؤلاء نحن، مخلوقات مجهولة تنتظر عند بوابات القصر. مخلوقات جبلت من فولاذ أكثر من كونها من لحم ومن ريش**"[34] يشير "**السارد**" في حديثه عن الصورة التي ارتسمت على شكله

الذي بقي يصارع الحقيقة – **الشمس**–في لوحة تراجيدية مُعتمة ومنغلقة على ذاتها حاول –ديب–من خلالها رسم روحه في شكلها المُفرغ من كل شيء؛ إنها روح مادية بامتياز قوامها الفولاذ المطعم بالثقافة الغربية التي تلغي كل شيء روحي.

ينتهي "**محمد ديب**" في رحلته البرزخية إلى الوقوف أمام المرآة، تلك المرآة التي مثلت له "**طائر السيمورغ**"، كما مثلت له ذاته وهي تنفتح على عوالم أخرى وتنعتق من كل القيود؛ لتصير شيئا يقترب من مفهوم – **الإرادة**–أو بناء الذات يقول ديب متسائلا "**من هذا؟ هذا من؟ وغد لا يماثله أي وغد آخر؟ أي وغد آخر مهما كان. لا. إنها روعة شيء متحرك، متبدل، جمال غريب ينتمي إليك أنت، بل ينتمي إليك وإليَّ**"[35]، ليقترب بذلك ديب في تصوره للمرآة /الانعكاس من نظرتين متقاربتين؛ نظرة فلسفية نجدها عند أفلاطون في "**تشبيه الكهف**"؛ الذي يصور فيه عامة الناس–**الطيور عند ديب**– مسجونين في كهف مظلم –**الواقع/المادية**– منذ الصغر، ولقد قيدوا فيه–**انغلاق**– وأداروا وجوههم إلى شاشة –**المرآة في نص السيمورغ**– تنعكس عليها ظلال ما هو في خارج الكهف من ضوء ينير عالما من الناس الذين يسيرون حاملين عرائس خشبية على أكتافهم[36] وهو ما يمثل **الحقيقة**–الانفتاح– سواء عند أفلاطون أو عند "محمد ديب" . أما المتصوفة فيتفق "**ديب**" بشكل نسبي مع ما ذهب إليه "**ابن عطاء الله السكندري**" في حِكمه، يقول ناصحا المريد الصوفي:" **أباح لك أن تنظر في المكونات، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات** "[37] وهو صورة واضحة أن غير الصوفي لا يستطيع الحكم على الظاهر في شكله البسيط – المادة– باستعمال ملكة النظر– انعكاس زائف–؛ كما لا يستطيع البحث عن ذوات الذوات في بعدها المتخفي خلف الحجاب أو الستار، وهذا ما حصل مع "ديب" في قوله:" **ثم ماذا استفدنا من سرعتنا ودفعنا بتشردنا إلى أبعد مداه ؟ما أبعد النقطة التي سيقودنا إليها .بإمكاننا المراهنة حتى نصل إلى**

قلب هذا الضباب الميتافيزيقي الذي نضيع فيه قبل أن تطأه أقدامنا .لا أكثر ولا أقل"[38]
إنه انعكاس مضلل لا يوصلك للحقيقة المطلقة التي سعى ديب للوصول إليها.

خاتمة: من خلال كل ما سبق يتضح لنا جليا طغيان النسق الروحي الذي سيطر على الجزء الأول من رواية "**سيمورغ**" لمحمد ديب، في حين بقي النسق الذهني نسقا خادما يباغت المتلقي حينا ويختفي في أحايين أخرى، في اغتراب يشبه اغتراب محمد ديب في منفاه الذي هيمن عليه جسدا وروحا، وتظل الروح مستلبة ومتشبثة بروحانية الشرق ومكنوناته، وهذا ما مكن السارد من أن يستقي معجما يمكن أن نطلق عليه لفظة " **المعجم البرزخي أو الروحي** " الذي يخاطب الذات الإنسانية في باطنيتها وعمقها؛ إذ أن جل الحمولات المعرفية التي حملتها الرواية كانت حمولات روحانية تسمو بالنفس البشرية الى مراتب الما وراء، وتعرج بها إلى عالم ديب المخيالي وروحانيته التي تقترب من الروحانية الصوفية ومن الذات المريدة الباحثة عن الحقيقة في أعمق تجلياتها .

إن دراسة رواية "**محمد ديب**" في حقيقتها هي دراسة تعدت الدراسات الخاصة بنظرية الرواية وتعالت عليها، ذلك أنها جاءت مجموعة من النصوص المتفرقة التي يصنع كل منها نسقا خاصا به، وهذا ما ظهر جليا من خلال دراستنا للجزء الأول من الرواية الذي جاء حاملا لعنوان الرواية ككل إنه "**السيمورغ**" كملك أو كنسق امتلك الروح وعبئها بمجموع أنساق يتعذر على الذهن البشري بما يمتلك من قدرات محدودة أن يلج عوالمها ويغوص في أبعد نقطة فيها.

الهوامش:

[1]–عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تح: طه عبد الباقي سرور، مكتبة المعارف، بيروت، د ط، 1985، ص 54.

[2]–محمد ديب، السيمورغ، تر: عبد السلام يخلف، سيديا للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011، ص24.

[3]– عيسى بلاطة، إعجاز القرآن الكريم عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2006، ص334.

[4]– محمد ديب، السيمورغ، ص 31.

[5]–نفسه، ص 19.

[6]– محمد طواع، هيدغر والميتافيزيقا مقاربة تربة التأويل التقني للفكر، أفريقيا للنشر، المغرب، ط1، 2000ص153.

[7]–محمد ديب، السيمورغ، ص 30

[8]–نفسه، ص نفسها.

[9]– ريني ديكارت، تأملات ميتافيزيقية، تر: كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1988،4، ص17.

[10]– محمد ديب، سيمورغ، ص 18.

[11]–المصدر نفسه، ص 19.

[12]–ينظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الصميعي للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط1، 2011، 1045

[13]–مصطفى محمود، السر الأعظم، د ط، دار المعارف، مصر، د ت، ص 45.

[14]–فريديريك نيتشة، هكذا تكلم زرادشت كتاب للجميع ولغير واحد، تر: فيليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الاسكندرية د ط، 1937، ص 269.

[15]– محمد ديب، السيمورغ، ص 35.

[16]–المصدر السابق، ص 34.

[17]–تختلف دلالة السيمورغ في الثقافة الفارسية من باحث إلى آخر.

[18]–ينظر: فريد الدين العطار النيسابوري، منطق الطير، تر: بديع محمد جمعة، دار الآفاق للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2014 ص 52.

[19]– محمد ديب، السيمورغ، ص 31.

[20]–مارتن هيدجر، الوجود والزمان، تر: فتحي المسكيني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2012 ص 312.

[21]– جمال محمد أحمد سليمان، مارتن هيدغر الوجود والموجود، دار التنوير، د ط، بيروت، لبنان، 2009، ص 224.

[22]– سعاد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1991ص 66.

[23]–محمد ديب، السيمورغ، ص 32.

[24]– نفسه، ص 33.

[25]–محمد عابد الجابري، في غمار السياسة فكرا وممارسة –الكتاب الثالث، الشبكة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2010، ص 49.

[26]– محمد ديب، السيمورغ، ص 34.

[27]– مادي محمد، السماع الصوفي العيساوي بين الدنيوي والمقدس– مقابلة أنثربولوجية–، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 6، جامعة غرداية، 2009، ص 183.

– محمد ديب، سيمورغ، ص 34.[28]

[29]– المصدر نفسه، ص35.

[30]–نفسه، ص 23.

[31]–ميشل فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز القافي العربي، ط2، 1987، بيروت، ص25.

32–محمد ديب، السيمورغ، ص 28.

[33]–نيكوس كزنتزاكيس، تصوف منقذو الآلهة، تر: سيد أحمد علي بلال، دار المدى، ط1، بيروت ،2013، ص88.

[34]–محمد ديب،السيمورغ ،ص 24 .

36–المصدر نفسه ،30.

[36]–ينظر: أميرة حلمي مطر، جمهورية أفلاطون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط ،1993، ص33.

[37]–الشيخ زروق، شرح الحكم العطائية، تح: عبد الحليم محمود، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2010، ص184.

[38]–محمد ديب، السيمورغ، ص 34.